الخلفية التاريخية والدينية في خطاب نتنياهو

من أكتوبر 2023 حتى نيسان 2025

المحتويات

مقدمة 1

الخلفية الدينية 2

استثمار المناسبات الدينية وتوظيفها للاستنهاض 2

التماهي مع الأنبياء والملوك والقديسين 4

الخلفية التاريخية 5

التاريخ اليهودي القديم 5

تاريخ بناء الكيان الصهيوني 6

تاريخ الحرب العالمية الثانية والهولوكوست 7

تاريخ العالم العربي والصراع مع الكيان 8

خلفية تاريخية ودينية 8

العبارات الأكثر استخداماً ودلالاتها في خطاب نتنياهو 9

مقدمة

يستند رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في خطابه العام الذي بدأه منذ السابع من أكتوبر 2023، إلى خلفية دينية وتاريخية تحكُمُ توجّهاته وقناعاته وآرائه السياسية والمصيرية. لا يكتفي نتنياهو بهذه القناعات لنفسه، بل يعمل جاهدًا لتسويقها وغرسها في أذهان الجمهور الإسرائيلي، وهذه واحدة من أهم النقاط التي تميّز شخصيته وتميّزه عن بقية القيادات الإسرائيلية. لم يأتِ نتنياهو إلى منصبه من الجهاز العسكري ولا من فئة "الجنرالات" الذي جرت العادة أن يستلموا الحكم والقرارات التاريخية. جاء من عائلة مثقفة ومشبّعة بالمفاهيم التاريخية والجغرافية، حيث الأب المؤرخ صاحب الشخصية الحادة والمواقف المتعصّبة لأحلام الدولة الصهيونية. جاء نتنياهو من مقاعد الجامعات الأميركية، ثم من البزنس والمشاركات الديبلوماسية ثم من بعض المهام العسكرية المحدودة قبل أن يدلف إلى عالم السياسة والأحزاب ورئاسة حزب الليكود ثم إلى عالم رئاسة

الوزراء. وقبل أن ينتهي عمره السياسي، وجد نتنياهو أحلامه الخاصة في مشروع بناء الدولة الصهيونية تعود إلى نقطة الصفر مع عملية 7 أكتوبر التي نفذتها حماس، فلم يكن أمامه إلّا الاستناد للمفاهيم الدينية والمحطات التاريخية التي تشكل دافعًا للكثير من قراراته السياسية.

جاءت خلاصات الملف لتؤكد على تمايز الخطاب عند نتنياهو، بالمقارنة مع غيره من القيادات الإسرائيلية ورجالات السياسة والعسكر، فهو يجيد توظيف المناسبات أكثر من سواه، ويبرع في اغتنام الفرص الإعلامية، فيعمل على الاستنهاض والتوعية الأيديولوجية وعلى التحريض. ثم إن نتنياهو يهدف إلى التأثير على الجمهور اليميني، الذي يشكّل ثقلًا في الحاضر والمستقبل داخل المجتمع الإسرائيلي، ولذلك يتمسك بالخلفيات الدينية ويحاول تسويقها.

إضافة إلى ذلك يسعى نتنياهو بحرص وعناية وبدقة، إلى إظهار نفسه بمظهر الأمين والمؤتمن على التاريخ اليهودي والثقافة الإسرائيلية، من خلال خطاباته المشبعة بروح "الأنا الدافعة" التي تحاول دفع الآخرين لتبني وجهات نظرها ومواقفها وآرائها.

الخلفية الدينية

استند نتنياهو إلى الخلفية الدينية من باب الاستنهاض والتأثير وليس من باب القناعة التامة بالمفهوم الديني. فهو شخص علماني غير متديّن، لكنه يستفيد من تحالفاته الحالية مع التيارات الدينية (هي استفادة متبادلة تقوم على المصالح المشتركة بين الطرفين). يخطب نتنياهو في الجماهير بعبارات مختارة ومنتقاة من الأدبيات الدينية مثل: "يجب التحلّي بالصبر/ يوم السبت هو فرحة التوراة منقوشًا في تاريخ شعبنا باعتباره يوم الألم والفقد والكرب/ نحن شعب الخلود الذي يناضل من أجل إنارة الدنيا/ نحن شعب يسعى لنشر الخير والحدّ من الشر/ ينهض البعض للقضاء علينا ورب العالمين ينقذنا منهم/ هذه أرض إسرائيل التي صلّى فيها أباؤنا منذ آلاف السنين وإليها عدنا وهي أرضنا وبلادنا".
إن تأمل كل مفردة من هذه العبارات كفيل بجعل الإنسان يعجب للمفارقة، فنتنياهو مقتنع أشد الاقتناع، بأنه يعمل ويسعى "لنشر الخير والحدّ من الشر"، وهذا وحده شعار يحتاج إلى الكثير من السرديات لتفكيكه.

استثمار المناسبات الدينية وتوظيفها للاستنهاض

يستثمر نتنياهو كل مناسبة دينية، صغيرة كانت أم كبيرة، ويوظّفها لتوجيه خطاب مؤثّر ومدروس بعناية، غايته المزيد من الاستنهاض للعمل في سبيل بناء(الدولة) واستكمال الدفاع عن وجودها. خطب مثلا عشية الفصح اليهودي، فذكّر الجمهور بأنه "بفضل إيمان شعبنا وجرأة مقاتلينا والوحدة التي تسود بيننا في ليلة السيدر عشية حلول عيد الفصح اليهودي الذي خرج خلاله الشعب اليهودي من العبودية إلى الحرية، نتذكر شهداءنا الأبطال ومقاتلينا الجرحى، الذين نكون أحرارًا بفضل

تضحيتهم". واحتفل بعيد الحانوكا اليهودي[1]، فأشعل شموع العيد مع مسؤولي مكتب رئاسة الوزراء والموظفين وأبناء الموظفين، وتحدّث خلال الاحتفال لاستثمار الرمز الديني أيضا. "نشعل اليوم أولى شموع عيد الحانوكا إحياءً لذكرى انتصار "المكابيم"[2] القدماء والمكابيم الجدد. سنشعل شمع عيد الأنوار، وسيشعل مقاتلونا الضوء وسط الظلام في أزقة غزة، وعلى أطلال الشجاعية، وفي بؤر الإرهاب في خان يونس. حيث ستنبعث الأضواء معًا، لتشكيل ضوءٍ ساطعٍ من وسط الظلام. مقاتلونا هم الجيل الذي يتابع مسيرة المكابيين إذ يخوضون القتال بشجاعة وشهامة وعزم. سنصلي مع بعض لسلامتهم...". حتى المفارقات البلاغية في خطاب نتنياهو فإنها تحضر من خلال الإكثار من الطِباق أو المقابلة، ففي معظم كلامه يستخدم مفردات النصر مقابل الهزيمة، والخير مقابل الشر، والنور مقابل الظلام، والحق مقابل الباطل، والنعمة والنقمة أيضا.

يلجأ نتنياهو للاستقواء بالخلفيات الدينية والركائز الإيديولوجية لشدّ العصب الديني وغرس مفاهيمه في الذهن بشكل مستدام. في بعض الأحيان يكاد خطاب نتنياهو أن يتفوّق على خطاب الواعظ، من حيث استحضاره المكثّف للسرديات الدينية وعرضها بطريقة استنهاضية مؤثّرة،" أمرنا الله عز وجل بعدم نسيان ما ارتكبه العماليق[3] بحقنا فنحن نتذكر ونحارب". يقع هذا التأثير غالبًا في أذهان الجمهور من الناس العاديين والجنود والمتديّنين، فتعظم المسؤولية في عيونهم ويزدادون رضىً عن أنفسهم وتقبّلا للواقع (حيث تفرض الحرب نفسها حاليا). نلاحظ مثلًا، كيف يختار نتنياهو انتقاء المصطلحات والمرويات ذات الدلالة المباشرة، يقول "يروي تاريخنا قصص النضال والشهامة والنصر. وجودنا هنا سابق لوجود أعدائنا، وسنبقى هنا بعد أعدائنا. وقد تنبأت شعوب الدنيا في عدد لا يحصى من المناسبات للشعب اليهودي بالزوال لكننا أثبتنا كذبها مرارًا وتكرارًا. إن الشعب اليهودي لا ينكسر. والشعب اليهودي لا يستسلم. انطلاقًا من الألم والدموع تنشأ العظمة وينشأ الأمل. ما زلنا مقبلين على تحديات جمة، لكنني أستمد الأمل والثقة بشعبنا الرائع كلما أنظر إلى المشوار الذي قطعناه معًا حتى الآن، مع علمي اليقين بأن هذه المرة أيضًا وبعون الله خلود إسرائيل ليس كاذبا". هذه الاستعانة الدائمة بالله، تبدو عبثية بالنسبة لشخص مهووس بارتكاب

---

[1] ـ حانوكا أو عيد الأنوار هو عيد يهودي يحتفل به اليهود لمدة 8 أيام بين نهاية نوفمبر ونهاية ديسمبر. يضيئون خلاله كل يوم شمعة تثبت في شمعدان خاص بالمناسبة. ليس لهذا العيد صلة بالتوراة، بل بحروب الحشمونائيم ضد اليونانيين للدلالة على انتصار الأقلية على الأغلبية في العام 164 ق.م. يتم في العيد إضاءة الأنوار في الهيكل للتذكير بتحريره من اليونانيين وتطهيره منهم.

[2] ـ المكابيون (مكابيم أو مقابيم) مجموعة عسكرية يهودية، قامت بثورة على حكام سوريا السلوقيين، وتمكنت من تكوين سلط سياسية في فلسطين، من السلالة الحشمونية في الفترة ما بين 164 ق.م وحتى سنة 63 ق.م، قبل وقوعها في يد القائد الروماني بومبي. اشتهروا بتعصبهم وتطرفهم الديني وعصبيتهم ضد الثقافة اليونانية.

[3] ـ كلمة العماليق تحيل إلى قبيلة من البدو الرحّل سكنوا شبه جزيرة سيناء وجنوبي فلسطين، تعني في الثقافة اليهودية " الشر الجسدي والروحي". ورد في سِفر صموئيل الأول "اذهب وحارب العماليق، اقض عليهم قضاء تاما، هم وكل ما لهم. لا تشفق عليهم، اقتل جميع الرِجال والنساء والأطفال والرضع، واقتل ثيرانهم وغنمهم وجمالهم وحميرهم، وحاربهم حتى يَفنوا".

المجازر، يقتل يوميًا مئات الأبرياء أمام مرأى العالم، لكنها تدلل على ثقته بنفسه، ومدى اقتناعه بأن ما يفعله جزء من الواجب الروحي والديني.

التماهي مع الأنبياء والملوك والقديسين

لا يكتفي الاستناد إلى الخلفية الدينية عند نتنياهو باستثمار المناسبات وتوظيفها، بل يلجأ أيضًا إلى الأفراط في التماهي مع الأنبياء والقديسين من ملوك بني إسرائيل، وعليه، يكثر من هذا التذكير الديني إلى درجة التماهي معه. يقول في خطاباته: "إنا نواجه الخيار الخالد نفسه الذي وضعه موشيه عليه السلام أمام شعب إسرائيل منذ آلاف السنين، عندما كنا على وشك دخول أرض الميعاد. أخبرنا موشيه أن أفعالنا ستحدد ما إذا كنا نورث للأجيال القادمة نعمة أم نقمة. وهذا هو الخيار الذي نواجهه اليوم".

هذه دعوة دائمة إلى الحرب والقتال، بلبوس التشبّه بالأنبياء، فهو يقول لكل الإسرائيليين ما نفعله الآن يحدد مستقبلنا ومصيرنا، أنتم قرروا أي مستقبل تريدون. يحدّد نتنياهو دائما المتلقّي/ المرسل إليه خطابه عبر تحديدٍ مقصودٍ إلى "مواطني إسرائيل" ليقول لهم محمّسًا: "قال الملك دافيد : سأطارد أعدائي وسأقضي عليهم، ولن أعود حتى هلاكهم، نشهد حرب نهضة وتحديات كثيرة ونحن بحاجة إلى الصبر، ووحدة الصفوف، والشجاعة، والصمود. سنحارب معًا وسننتصر معًا بعون الله". (هذه الجملة بالتحديد نموذجيو من حيث احتشاد التكثيف اللغوي في حقل معجمي يدول حول القتال والنصر.

يشارك نتنياهو في مناسبة توراتية أخرى، "قراءة سفر إستير" مع مقاتلي ومقاتلات كتيبة إيرز التابعة للشرطة العسكرية، فيخطب فيم بالقول: إنكم تدافعون عن دولة إسرائيل ومواطني إسرائيل، من خلال المهام المختلفة، والمخاطرة والتضحية بأنفسكم. وأريد شكر الحاخام على قراءة السفر بإتقان وعلى الأمور الهامة الذي ذكرتها في هامش القراءة. نحيي اليوم ذكرى عيد المساخر[4]. إذ ظهرت قبل أكثر من 2000 عام في الإمبراطورية الفارسية شخصية هامان الشرير الظالمة المعادية للسامية، الذي التمس إزالة اليهود من على وجه الأرض. فنهض اليهود واتحدوا وحاربوا وانتصروا نصرًا مطلقًا. أما في الوقت الراهن فظهر في بلاد فارس المعاصرة ظالم جديد هو النظام الإيراني الذي يلتمس إزالة دولة اليهود". يا لها من صورة بلاغية جامعة للمفارقة التي يبرع نتنياهو دائما في توظيفها والقياس عليها والتماهي معها.

لم يملّ نتنياهو من التذكير والتكرار بأنه وجنوده أصحاب الحق والخير، فيما أعداؤه هم الأشرار، فيستخدم(دائما) مصطلحات رمزية مثل: "تكبد الشر ضربة قاسية/ الظلام يتراجع والنور يسطع/ نحن انتصار الخير على الشر).

---

[4] ـ عيد المساخر، أو ما يُعرف بال "بوريم" عيد يهودي صغير، يتميز بالمرح والضحك وتقاليد نابضة بالحياة. يشمل تناول وجبة احتفالية، وتقديم الهدايا، وارتداء الأزياء التنكرية. ويستند إلى قصة وردت في سفر أستير التوراتي.

إن الهدف الأول والأهم من الحرب الإسرائيلية على فلسطين ولبنان وإيران واليمن بالنسبة لرئيس الوزراء الإسرائيلي، هو "القضاء على العدو، "القضاء التام والنهائي عليه" تماهيًا مع فِعال ملوك بني إسرائيل. بالنسبة لنتنياهو العدو هو كل من يتبنّى الخيار المقاوم ويعارض المشروع الصهيوني. هذه نقطة تفصيلية مهمة، لأجلها لم يوقف الحرب ولن يوقفها ولم يعلن أي استعداد لوقفها. لقد أعلن منذ بدايات طوفان الأقصى "نشنّ هجومًا هائلًا على العدو حتى نقضي عليه. الحرب القائمة هي حرب النهضة وهي حرب تاريخية".

في مناسبة أخرى، استدعى نتنياهو "نبوءة إشعياء"[5] قائلا: "نحن أبناء النور بينما هم أبناء الظلام، وسينتصر النور على الظلام وسنحقق نبوءة إشعياء، لن تسمعوا بعد الآن عن الخراب في أرضكم، سنكون سببا في تكريم شعبكم، سنقاتل معا وسنحقق النصر". وقد استدعى نصًا دينيًا آخر، حين قال "يجب أن تتذكروا ما فعله العماليق بكم، كما يقول كتابنا المقدس...

الخلفية التاريخية

ورد ذكر مفردة "التاريخ" 57 مرة في مجمل الخطابات. نوّع نتنياهو في الاستناد التاريخي بين التاريخ اليهودي القديم، والتاريخ الحديث لبناء الدولة، وتاريخ الحرب العالمية الثانية ذات التأثير الواضح، وتاريخ الصراع مع العالم العربي والإسلامي.

التاريخ اليهودي القديم

أهم الرموز التي تعود إلى التاريخ اليهودي القديم، والتي استخدمها نتنياهو في خطاباته، هي:

"الملك شلومو الذي حكم عاصمتنا الأبدية أورشليم، قبل 3000 سنة/ أبناء عرق دافيد الذين سقطوا حاملين السيف بأيديهم/ على أرض إسرائيل كان يصلي أبراهام ويسحاك ويعقوب ويعظ يشعياهو ويرمياهو ويحكم دافيد وشلومو/ على مدار 4,000 عام كانت أرض إسرائيل وطن الشعب اليهودي/ أنتم تواصلون سلسلة الأبطال للشعب اليهودي من يهوشع بن نون ويهودا هماكابي وأبطال حرب الاستقلال وكافة حروب إسرائيل..."

يمتلئ خطاب نتنياهو بالأفكار الاستعمارية والتوّسعية، مثل أحقية الأرض لذوي النعمة والخير والنور، مقابل ذوي النقمة والشر والظلام، فهو يسوّق لتشكيل المنطقة بما يتناسب مع الشرق الأوسط الجديد الذي يتحدّث عنه دومًا.

[5] - إشعياء كان نبياً يهودياً بارزاً في المملكة الجنوبية ليهوذا (أحد أبناء النبي يعقوب (إسرائيل) الاثني عشر)، وثّقت نبوءاته في سفر إشعياء في العهد القديم للكتاب المقدس. تعتبر نبوءة إشعياء من أبرز النبوءات في الكتاب المقدس، تتألف من 66 إصحاحاً، ويعود تاريخها إلى القرون الأولى قبل الميلاد، وتحتوي على عدة أقسام رئيسية، ومن بينها تنبؤات بالمستقبل البعيد لليهود. تشير بعض هذه التنبؤات إلى قدوم يهودي مخلص يحكم الأرض ويقدم السلام والعدل. تنبّأ إشعياء أيضاً بتحقيق العدل الاجتماعي ونهاية الظلم والاستبداد ضد اليهود.

تاريخ بناء الكيان الصهيوني

يبرع نتنياهو ويتفرّد عن سواه من القيادات الصهيونية الحالية، في موضوع استرجاع الأحداث التاريخية، والمفاصل الزمنية التي شكّلت مراحل بناء الكيان الصهيوني وتأسيسه، أو ما يسميه بمرحلة "بناء الدولة". فهذه الحرب تشكل حسب معتقدات نتنياهو "امتدادًا مباشرًا لحرب الاستقلال في مواجهة القوات العدوانية والوحشية التي تلتمس إبادتنا. لقد تصدينا حينها في عام 1948 للذين أرادوا القضاء علينا وحققنا النصر. وهو هدفنا في الوقت الحاضر أيضًا".

حين التقى نتنياهو جو بايدن في البيت الأبيض في يونيو/حزيران 2024 قال له: "سيدي الرئيس، نعرف بعضنا منذ 40 عامًا، وأنت تعرف جميع رؤساء الحكومة السابقين لإسرائيل منذ 50 عامًا، أي منذ حقبة غولدا مائير. مني، أنا اليهودي الصهيوني الفخور، إليك، أنت الإيرلندي الأمريكي الصهيوني الفخور، أتوجّه بالشكر الجزيل على خدماتك طيلة 50 عامًا من تأييدك لدولة إسرائيل. هذا ليس صراع حضارات بل صراع بين الهمجية والحضارة، بين الذين يمجدون الموت والذين يقدسون الحياة. ثم تحدّث عن شيوع مصطلح "من النهر إلى البحر" وتداوله بين شرائح متعددة، فقال: "يهتف المتظاهرون "من النهر إلى البحر"، لكن الكثيرين منهم لا يدرون أصلاً ما النهر وما البحر اللذين يتكلمون عنهما. إنهم فاشلون ليس فقط في الجغرافية بل فاشلون أيضًا في التاريخ. فهم يزعمون أن إسرائيل دولة مستعمرة".

هذا الإحياء لتاريخ بناء الكيان/الدولة هو تاريخ لا تعرفه الأجيال الحالية، ولا يتناوله القادة الآخرون في خطاباتهم. لذلك يعمل نتنياهو على اغتنام أي فرصة لتمرير هذه المفاهيم، فيتفرّد بهذه الإحاطات والشروحات التاريخية الدائمة في كل المناسبات تقريبا.

بعد سقوط النظام السوري ومرحلة آل الأسد، توجّه نتنياهو في اليوم الثاني مباشرة (ديسمبر 2024) إلى قمة جبل الشيخ. وقف هناك وخطب قائلا: "سنبقى في هذا المكان المهم... الذي يثير لدي الذكريات، إذ تواجدت هنا قبل 53 عامًا مع جنودي في وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة..". (يمكن ملاحظة ضمير المتكلم وحضور الأنا الدائم في خطاباته).
إن الاستنهاض والتحفيز والتذكير بمآثر الماضي يشمل كل المناسبات. في إحياء مناسبة عيد الاستقلال، ذكّر نتنياهو الجميع بأنه "خلال حرب الاستقلال وقفنا لوحدنا، قلائل أمام الكثيرين، حيث اجتاحت خمسة جيوش عربية أراضينا من أجل القضاء على الدولة التي وُلدت للتو. وكنا نعاني من شحّ السلاح ومن شبه انعدام للوسائل لكن كنا نملك سلاحًا سريًا واحدًا هو روح الأجيال. وقوة حياة شعب قديم يأبى الموت. وشعب ينهض لمقاومة الذين يلتمسون إبادته. وكما يقول مؤلف سفر المزامير: لن أموت بل سأحيا".
في عودة إلى ضمير الأنا المتكلم، وإلى الاستعراض والمباهاة، يجمع نتنياهو مراحل التاريخ مع قراراته الشخصية. قال في أحد خطاباته "هكذا تصرّف أسلافي عند المفارق المفصلية: فأمام

المعارضة الدولية أعلن بن غوريون عن استقلال إسرائيل، وخاض ليفي إشكول حرب الأيام الستة وأوعز مناحيم بيغين بمهاجمة المفاعل في العراق. وهذا ما قمت به أنا بصفتي رئيسًا للوزراء على مدار سنين طويلة أمام الضغوط الهائلة". (بروز الأنا وتضخّمها والتماهي مع الزعماء التاريخيين).

تاريخ الحرب العالمية الثانية والهولوكوست

هناك بعض المحطات التاريخية التي يستدعيها نتنياهو بفخر واستعلاء وتبجّح. وهنام مفاصل تاريخية أخرى شكّلت بالنسبة له ما يشبه العقدة النفسية والمعنوية التي يصعب الخروج من تداعياتها. الحرب العالمية الثانية هي النموذج الواضح جدا على الخيبة ومشاعر الإذلال التي حفرتها الحرب في نفسه بسبب مصير اليهود خلال الحرب وبعدها. لقد استشهد ببعض وقائع الحرب العالمية الثانية 5 مرات وذكر ال"هولوكست" 14 مرة و"النازية" 20 مرة.

من ينسى عبارته الشهيرة أمام الكونغرس الأميركي متماهيًا مع تشرشل؟ " خلال الحرب العالمية الثانية خاطب تشرشل روزفلت: "أعطِنا الأدوات لننجز العمل، واليوم أقول لكم: أعطونا الأدوات لنكمل العمل بصورة أسرع بكثير".

لم يمنعه شيء من تشبيه حماس بالنازية، مع العلم أن الجرائم الإسرائيلية وحروب الإبادة التي يقترفها الكيان الإسرائيلي هي الأقرب والأكثر تماثلًا مع الأفعال النازية. قال نتنياهو" "تخيلوا في حالة ما بعد الحرب بعد الحرب العالمية الثانية، السماح للنازيين المهزومين عام 1945 بإعادة بناء ألمانيا. هذا أمر لا يستقيم مع العقل الرشيد. لم يحدث ذلك في ذلك الوقت، ولن يحدث الآن مع حماس". (إسقاطات تاريخية على ما يحصل حاليا).

استرجع نتنياهو في ذكرى الهولوكوست، تاريخًا مضى منذ 80 عامًا، وبوقاحة وادّعاء أسقطه على ما يحصل في غزة اليوم. تحدث عن "القتل المروع للملايين الستة" وكيف "نهض الأشرار مجددًا للقضاء علينا مشبعين بالهمجية اللامتناهية كونهم ذبحوا، وتحرشوا، واغتصبوا واختطفوا...ففي حين سعى النازيون للقضاء على اليهود حتى آخرهم، يبتغي السفاحون الحمساويون تحقيق الهدف نفسه تمامًا. لكن خلال الهولوكوست كنا عجزة أمام الذين أرادوا القضاء علينا، بينما يملك الشعب اليهودي هذه الأيام قوة حامية خاصة به، وبهذه الطريقة سنضمن وجودنا ومستقبلنا".

يربط نتنياهو بين الهولوكوست والحرب الحالية، لترسيخ فكرة التهديد والتعامل معه حتى النصر، كجزء من الهوية الوطنية، ومن أجل التوظيف السياسي والثقافي، ولإضفاء طابع وجودي وكارثي على التهديد الحالي. يريد نتنياهو أن يقول ويكرر أن اليهود مهدّدون على مدى التاريخ، لذلك يجب أن يتحصّنوا جيدا. "تعرضنا للإبادة من قبل ولم ينقذنا أحد، لكننا اليوم أقوياء وقادرون على حماية أنفسنا ولن نعتمد على أحد". كرر نتنياهو "حينها لم يكن لدينا دولة تدافع عنا، واليوم لدينا جيش لا يُقهر، ولن نسمح بتكرار المأساة".

تاريخ العالم العربي والصراع مع الكيان

على الرغم من تحقيق "السلام" مع بعض الدول العربية المتواطئة مع الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، إلّا أن نتنياهو لن ينسى تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي قبل إعلان الخيانات. "على مدار عشرات السنين كان العالم العربي والقومية العربية يتوعدان بتدمير دولة إسرائيل، لكن تدريجيًا وبحكم تصدينا لذلك وبعد تحقيق انتصارات متتالية، نزلت الدول العربية الواحدة تلو الأخرى عن هذه الشجرة. علمًا بأننا أحللنا السلام مع مصر وأحللنا السلام مع الأردن ثم أحللنا السلام مع أربع دول عربية من خلال الاتفاقات الإبراهيمية.

خلفية تاريخية ودينية

في بعض استشهاداته المرجعية في الخطاب، يكثّف نتنياهو من الاستناد الديني والتاريخي فيجمعهما معًا، كما في بعض عباراته "الذين يلتمسون إبادتنا في كل جيل، وسننتصر عليهم بعون الله/ أنتم جيل النصر تحاربون بشكل عجيب، مع التضحية والاستمرارية في رحلة الشعب اليهودي الملحمية من العصور القديمة/ أقول لشعب إسرائيل ولجنودها كونوا أقوياء وشجعان. لا تخافوا منهم فالله ربك هو الذي يرافقك ولن يتخلى عنك ولن يتركك/ معًا سنقف صامدين، ومعًا سنحارب، وبعون الله معًا سننتصر".

هذه الخلفية الدينية والتاريخية هي ما يميّز خطاب نتنياهو المحمّل بالإحالات المرجعية. لا يتكلم لمجرد الكلام، ولا يقف على المنبر لأن المناسبة تتطلب منه حضورًا إعلاميا، بل لأن لديه رسالة توعوية مهمة، يجب توجيهها للأجيال كي يلتفتوا لها ويعملوا بمقتضاها. الفرق هنا مهم: بين أن تنتظر مناسبة معينة لإحيائها بشكل طقسي، وبين أن تنتظر المناسبة لتستفيدّ من خطابٍ موجّه ومؤثّر على المستوى العقائدي والفكري والسياسي. وقف نتنياهو في قلب أميركا وقال: "لا مفاجأة فيما نشهده من تصاعدٍ مفزعٍ لمعاداة السامية في الولايات المتحدة وحول العالم. لن يتربى جيل جديد من الفلسطينيين على كراهية اليهود بل على العيش معنا بسلام. طبّقت هاتان الفكرتان في نزع السلاح ومنع التطرف في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى عشرات السنين من السلام، والازدهار والأمن. بارك الله إسرائيل وأميركا/ فبدون الاستعداد للقتال لا توجد حياة، وبدون الاستعداد للتضحية لا يمكن القتال. وبدون القتال لا يمكن الانتصار. نحن ننتصر ولا نتخلى عن النصر".

تجتمع الخلفية الدينية مع الخلفية التاريخية من أجل التحريض والاستثمار السياسي، كأن يخطب في أميركا ويشير إلى تحرك الجامعات المناهض للإبادة الصهيونية ضد الفلسطينيين، فيقول: "اليوم نمسك بسيف دافيد لنرد الصاع صاعين على أعدائنا في هذه اللحظة التاريخية، وما قال عنه النبي يشعياهو: ويحكم الذين يرون الشر خيرًا والخير شرًا، ويظنون الظلام نورًا والنور ظلامًا،

فالطلاب اليهود المؤيدون لإسرائيل يتعرضون للتهديدات والشتائم والمضايقات. وباتوا يخشون الظهور في الشارع مع أي رمز يهودي كان، ويتعرض محاضرون وباحثون يهود للضرب والإهانة، وهو ما يذكّر بأشياء وقعت في الجامعات الألمانية خلال الثلاثينيات من القرن الماضي".
وخلال مراسم لغرس الأشجار (وهي مناسبة شعبية إلى حدٍ ما لكن نتنياهو لا يفوت استثمارها أبدا) يقول: لا بديل عن ترسيخ جذورنا وتحقيق النصر المطلق على أعدائنا. واليوم نغرس أشجارًا في هذه الأرض المروية بالدماء والكرب إحياءً لذكراهم/ سنرسخ جذورنا في أرضنا، وسنقتلع أعداءنا. وسنكون هنا بينما هم لن يكونوا هناك، وسنستمر في بناء البلدات والموشافات والكيبوتسات. وسنعمّرها لتصبح أكبر بكثير مما كانت عليه سابقًا". فهل هناك عنان تحريض أكثر من هذه اللغة والمفردات؟
اجتمعت الخلفيتان الدينية والتاريخية أيضًا، عند المزج في استحضار التاريخ اليهودي القديم والمعاصر، من خلال إشارات تذكيرية ببعض فصول السيرة الإسرائيلية، قال نتنياهو في خطابٍ له في الكنيست: "أحداث عيد فرحة التوراة أعادتنا إلى أولى أيام الصهيونية، وإلى المجازر المعادية للسامية في أوروبا والبلدان الشرقية/ تصميم الذين يلتمسون القضاء وإبادتنا لم يتغير مع مرور السنين/ لكننا نملك حاليًا وخلافًا للماضي دولة وجيشا خاصين بنا/ سنحارب ولن نتراجع، برًا، وبحرًا وجوًا/ أصلّي لسلامة جنودنا وليهلك الله عز وجل أعداءنا الذين ينهضون للقضاء علينا/ ينصّ سِفر صموئيل على أن خلود إسرائيل ليس كذبة".
الطريف أن نتنياهو يستخدم في بعض الأحيان كلمة "الشيطان" ليصف بها أعداءه من المقاومين والمجاهدين سواء كانوا من حركة حماس أو غيرها (استخدم أيضًا مصطلح البرابرة والوحوش والدواعش) "كنت أتساءل مع نفسي كيف يمكن محاورة الشيطان لتحرير مخطوفينا من براثن الشيطان". قد يبدو هذا الاستخدام مجازا تعبيريا عابرا، وعلى فرضية أنه كذلك، إلّا انه توصيف يسهم في تشكيل صورة ذهنية لدى المجتمع الإسرائيلي عن المقاومة والمقاومين من أصحاب الأرض والحق، ويساعد على تعميم هذه الصورة كما يرغب نتنياهو، بمقابل صورة " مقاتلينا وجنودنا الشجعان الذين يتواجدون في غزة وبقية الساحات ضمن سلسلة أبطال إسرائيل وهي سلسلة تمتد منذ ما يزيد عن 3000 عام بدءًا بيهوشع بن نون، ويهودا هماكابي وبار كوخفا، وانتهاءً بأبطال 1948، وحرب ستة الأيام ويوم الغفران وغيرها من معارك إسرائيل.

العبارات الأكثر استخداماً ودلالاتها في خطاب نتنياهو

راوحت المفردات والعبارات الأكثر استخداما ورواجًا على لسان نتنياهو بين كلمات: جنودنا الأبطال/ محور الشر/ النصر المطلق/ مواصلة القتال حتى النصر/ النصر الكامل والحاسم/ معًا سنحارب وبعون الله سننتصر/ معًا حتى النصر/ وغيرها من العبارات التي حملت شعارات خاصة مثل "القضاء على حماس"، حيث استخدم نتنياهو هذه العبارة في التصريحات السياسية والعسكرية والبيانات الرسمية لتحديد الهدف الاستراتيجي الأعلى للمعركة، وللقول بأن الحرب لن تتوقف قبل

تدمير قدرات حماس العسكرية وإنهاء سيطرتها على غزة، لأنها منظمة إرهابية تهدد الاستقرار الدولي، وبالتالي فهو يبرِّر الإجرام الإسرائيلي على أنه جزء من الحرب العالمية على الإرهاب.

ومن العبارات/ الشعارات أو اللازمة، عبارة "نواصل حتى النصر/ وتحقيق النصر المطلق" التي تكررت على لسان نتنياهو كشعار تعبوي لرفع المعنويات وشحذ الهمم بإظهار أن القيادة مصممة على تحقيق الانتصار مهما كانت التضحيات، وجاء استخدام مصطلح النصر للرد على أي ضغوط أو عقبات دولية تحاول فرض وقفٍ مبكر للقتال. فهو وجّه رسالة صارمة بأن إسرائيل لن تخضع حتى لو واجهت انتقادات خارجية واضطرّت للوقوف لوحدها.

وهناك عبارة "محور الشر الإيراني" (المستوحى من أدبيات الحرب على الإرهاب عالميًا) وخاطب وجدان الجمهور الدولي، حين وضع إيران وحلفاءها في محور الظلام وعدم الاستقرار، بهدف استحضار تحالف عالمي واسع ضدها، ولحشد التأييد الدولي لمحاربتها. ويأتي هذا الاستخدام كمسوّغ لدى نتنياهو لشرح الإجراءات العسكرية على جبهات أخرى غير غزة. هذه اللغة تربط كل تحرك عسكري إسرائيلي – سواء في غزة أو غيرها – بهدف استراتيجي أكبر هو دحر النفوذ الإيراني. والهدف الخطابي أمام الجمهور الإسرائيلي هو توصيل رسالة مفادها أن معركتنا ليست مع حماس وحدها، بل هي جزء من صراع أوسع ضد عدو أخطر، مما يستدعي الصمود والوحدة الوطنية لأن النتائج تتجاوز غزة إلى حماية مستقبل إسرائيل بأكمله.

كرّر نتنياهو وصف الحرب بأنها "حرب وجودية" وكرّر المصطلح في مناسبات متعددة، لتعكس هذه العبارات المتكررة استراتيجية خطابية مدروسة من قبل نتنياهو: إذ تربط بين أهداف أمنية (القضاء على حماس)، وأولويات إنسانية (إعادة المختطفين)، وروح معنوية عالية (نواصل حتى النصر)، وتأطير سياسي واسع (محور الشر الإيراني).

استخدم نتنياهو لغته التحريضية المؤثرة مستغلا كل المنابر، من زيارة الجبهات العسكرية والمستشفيات والقداديس الدينية وقبة البرلمان واللقاءات الدولية ومخاطبة الجمهور عبر الإعلام لحشد الدعم الداخلي وتصليب موقف الجمهور خلف قيادته، ولردع الخصوم وإقناعهم بحتمية خسارتهم، وإقناع العالم بوجهة النظر الإسرائيلية وتصوير الحرب على أنها جزء من صراع الخير ضد الشر.